٥

حلقات قصصية

عيـون المـرْآة

الحقيقة السابعة

محمد
حياه

حلقات قصصية

عيــون المِــرْآة

خدَعتْك عَيناك عندما أوهمتكَ أنك عندما تقف أمام المرْآة ترى بها الحقيقة؛ فالحقيقة قد رأتها عيون المرْآة دون أي تزييفٍ منك؛ فاحذر من تلك العيون؛ فقد تبوح بتلك الحقيقةِ في يومٍ من الأيام.

الحلقة الخامسة

الحقيقة السابعة

"أشعر بضيق في صدري، وتتصارع رئتاي بين ضلوعي كي تتنفسان في إنهاك وهوان وضعف، فتعتصران من أجل أن أزفر بالهواء الذي بداخلي، وتبذلان مجهود اكثر وتعافران كي تمتلئا شهيقًا مرة أخرى، ولكن ما كان يحمله الهواء من رائحة كريه اختلط العطب فيها بالعفن، جعلني احاول أن أمنع رئتاي عما تريداه اشمئزازًا وتعففًا، ولكن كانت محاولاتي فاشلة بكل تأكيد و في النهاية أستسلمت وخضعت لأمرها، وذلك لأن حتى يدي لم تستطع أن تغلق انفي ولو بضع ثواني، لأنها لم تحاول أن تدنو منها أو تتحرك حتى، فأنا أكاد لا اشعر بيداي أو قدماي، وكأنهما بتروا أو لم أولد بهم من الأساس، احساس مرعب يجتاحني بضرواة مفرطة، قشعريرة تحتل جسدي وتنتقل بين خلاياي بسرعة، لا أعرف مصدرها أو سببها أو كيف تتوقف، حاولت أن أفتح عيني ولكن تأمرت علي جفوني ولم تستجب لطلبي، وظلت متراخيه متدلية في تجبر وتعنت تحجب عني الرؤية، ولا أعرف لماذا إنتابني الخوف في تلك اللحظة، وخطر هاجس مخيف في عقلي، هل أُصبتُ بالعمى وأصبحت كفيف؟

ولكن بعد قليل من التفكير رفضت هذا الهاجس بكل ما في وطردته بعنف من عقلي، وحاولت مرارًا وتكرارًا دفع جفوني لكي تستفيق من غفوتها وتستجيب لأمري، وفي النهاية فزت في معركتي معها لتنير أمامي رؤية ضبابية

مشوشة ومشوهة بعض الشيء، تقل تدريجيًا كلما بذلت جهدًا أكثر وأقوى، حتى ثبتت الحقيقة الأولى في هذا المكان وهي أنني لست بكفيف ومازلت أمتلك حاسة البصر، ولكنها لم تكن تلك الحقيقة سعيدة بالمرة حتى أنتشي وتفرح أساريري، فما رأيته جعلني أسب نفسي مرارًا على معركتي الأخيرة التعسة مع جفناي، فلقد وجدت نفسي أجلس متربع على أقدامي في نهاية فراش معدني صغير يكفي لشخص واحد ولكنه طويل بعض الشيء، فراشًا متسخ ببقع دماء جافة تتناثر من حولي، أما يداي فمقيدة من الخلف في العمود المعدني العرضي بظهر الفراش، والذي أجبرت أن أستند عليه بسبب تلك القيود اللعينة، قيودًا سميكًا وخشنة نتجت من إلتفاف حبل غليظ وهو يعتصر يداي بداخله كأفعى تفترس ظبي بعد صومها أعوام، وعلى ما أظن أني مقيد منذ فترة طويلة حتى تراخت وتمللت عضلات يداي وأصبحت لا اشعر بهما، وهذا هو حال قدماي اللذان وجدتهما مقيدتان ببعضهما.

ومن اسفل قداماي يمتد الحبل امامي فأتبعه بتوجس ولكنه لم يبعد كثيرًا فلقد كانت نهايته على بعد شبرين ليس أكثر، ولكن تملكني الفزع وتغللت البرودة بين ضلوعي مما رأيت، فلقد وجدت الحبل ينتهي بإلتفاف حول قدمين أخرين ملطختين بالدماء الجاف وبهما شقوق أو جروح عفت الديدان عن إلتهامها من فرط العفن بها، قدمان يعودان لشخص راقد أمامي بهذا الفراش مغطى بملاءة كانت في

الزمن السحيق لونها أبيض بالتأكيد، ولكن ما اراه امامي الأن هي قطعة قماش صفراء ملوثة بالدماء الجاف تغطي جسد لا أعرف هل هو جسد حي أو سبقني للحياة الأخرى، وكأني أرى مصيري القادم وما سوف اؤل له في نهاية هذا المطاف.

وبعد أن تبينت عن سبب عدم شعوري بقدماي ويداي حاولت أن أتفحص ما حولي وما وجدته كان مريبًا جدًا، فلقد كان هذا الفراش في غرفة صغيرة كسى اللون الأسود جدرانها حتى أرضيتها تزينت بنفس هذا اللون الكئيب، لا أعلم هل هذا بسبب حريقًا ضخم مارس الرزيلة مع تلك الغرفة فنبت عن تلك العلاقة المحرمة ما أراه الأن أم ماذا؟ ولا يوجد سوى هذا الفراش المعدني فقط والذي يعتليه جسدي جالسًا ومقيدًا بجسد أخر راقدًا أمامي يتستر تحت ملاءة رثة، إلتفتُ برأسي للخلف لعلي أفضح أكثر عن ما تستره تلك الغرفة السوداء، إلا أنني لم أجد شيء فلا يوجد حتى بها نافذة واحدة ينفذ منها تيار هواء نظيف ويكون انتحاري لكي يقاتل جيوشًا من الهواء العفن، ولكن لم يثمر بحثي هذا إلا على باب الغرفة المغلق والمزين بأطار معدني شبع الصدأ من إلتهامه وتجشأ في زواياه، ومن خلال هذا الباب كان يأتي مصدر الضوء الوحيد بتلك الغرفة عابرًا من خلال شرخًا كبير في منتصف نصفه العلوي، وللأسف لقد إلتهم ظلي ثلاث ارباع هذا الضوء بسبب جلوسي أمام

مساره قاطعًا إياه بجسدي المقيد، مما جعلني لأ أستطيع أن أرى تفاصيل اكثر في تلك الغرفة.
وكانت الحقيقة الثانية في تلك الغرفة هي أنني بائس الحظ بإمتياز فياليتني تمنيت ألا أرى أكثر من ذلك فبعد دقائق قليلة سمعت صوت همهمات كثيرة تتصاعد تدريجيًا وتعلن عن إقترابها من الغرفة لم يلحق القلق أن يحتل عقلي فبعد ثواني قليلة أصبحت الأصوات خلف الباب، لتسد مصدر الضوء الوحيد ويستعد الظلام ما سلب من املاكه بسبب شعاع الضوء اليتيم هذا، حبست أنفاسي عنوة وحاولت أن أنصت ولكن لم أجد سوى همهمات لا يتضح منها شيء ولا يفهم منها حرف، لم تطل حيرتي كثيرًا فلقد تم ضرب الباب بقوة ليفتح ويكشف عما خلفه وعن مصدر تلك الاصوات او الهمهمات، وحينها علمت بما هي الحقيقة الثالثة وهي أن الضوء نقمة وليس نعمة في هذا المكان، فلقد كشف الضوء عما ستره الباب من كائنات تشبه البشر كثيرًا ولكنها شاحبة، عينيها تبرز ككورتان من دم الغزال، يحتل السواد الكاتم أسفل عيونها، تتطلخ شفاهم بالدماء الجافة، يسيرون ببطء كالسكارى تتخبط أرجلهم بعضها ببعض وتترنح أكتافهم يمينًا ويسارًا بعشوائية وهم يقدمون على دخول الغرفة، حاولت أن أنكمش على نفسي خوفًا منهم لكن كيف لي أن أفعل ذلك، كنت على وشك البكاء من فرط الرعب والخوف ولكنهم ما أن اقتربوا مني وشعرت بأنفاسهم الساخنة السريعة حتى عبروني وكأنهم لم يروني أو يشعروا

بوجودي او لستُ أنا هدفهم من ذلك الاقتحام أو ذات أهتمام يذكر لهم حتى الأن، فلقد كانوا قادمين لمن يرقد أمامي وما أن وصلوا لموضع رأسه حتى رفعوا عنه الملاءة وكشفوا عن وجهه وجسده الكثير، وبأظافر يدهم والتي تشبه مخالب ذئب جبلي، بدأوا في نهش صدره وكأنه أصبح وجبة كبسة خليجية كبيرة وضعت على الارض ليغمس منها من حولها بيديه العاريتين ويضع ما قبض عليه داخل فمه ويتناثر ما يتناثر من فمه ويده دون أن يبالي المُلتهم بشيء.
تزاحمت وأمتلئت الغرفة بهم وأصبحوا يتبادلوا الإلتهام في وجبتهم الراقدة أمامي، أصبح الفراش يهتز بي مما يفعلونه ورغم ذلك التزاحم لم يلمسوني أو اعير انتباهم أو جلوسي هذا يقطع شهوتهم الدموية أو يخافوا من نظراتي المرتعشة أن تفسد شهيتهم، وهنا قد علمت الحقيقة الرابعة وهو أنني لست على قائمة طعامهم المميزة حتى الأن، وأثناء تبادلهم فيما بينهم على الوليمة كان يُكشف عنها بعض الشيء ولقد توقعت أن أرى اشلاء لجسد خاوي، ولكن الغريب فيما لاحظته أنهم كانوا ينصب تركيزهم في الافتراس على الرئتين وبعض الاعضاء الاخرى من حولها، فلم يلتهموها بشكل كامل فلقد بقيت أعضاء جسده شبه كاملة في مكانها لا أعرف هل كلما أكلوا منه عاد لحمه مرة أخرى؟ أم أصيب بعضهم بالشبع وكانوا فقط يتشمموه أو يلعقوه بألسنتهم القذرة؟ أو يكون في النهاية أكتشفوا أن لحمه ليس من النوع المفضل لديهم وبالأخص منطقة الصدر التي

نهشوها بأظافرهم اللعينة؟ في الحقيقة لا أعلم سوى شيء واحد أن ما يحدث أمامي لهو شيء مريع ومقزز لابعد حد ثارت بسببه معدتي وهي تريد أن تعلن عن رفضها لما يحدث وتخرج ما في جوفها ولكني حاولت تهدئتها بقدر المستطاع.

ولكن في لحظة واحدة توقفوا جميعًا ونظروا نحوي وكأنهم يخبروني بدون أن تتحرك شفاهم أن دوري قد حان في أن يكملوا بي وليمتهم ويملئوا بلحمي بئر جوعهم، ظلوا ينظرون لي دون حراك، وأنفاسهم بدأت في الهدوء وخفض صوتها شيئًا فشيئًا، ثم إنخفضت رؤوسهم وأستندت على صدورهم ثم بدأوا في التقدم نحو الباب بخطوات واحدة وكأنهم كتيبة من العسكر، لم ترتفع رأس أحدهم ظلوا يسيرون بوجوهٍ ساقطة تنظر لما سوف تدوسه أقدامهم، خرجوا جميعًا وتركوا الباب مفتوحًا لينير الضوء الغرفة مرة الأخرى بشكل شبه كامل، وبالتالي بدأت أنصت لواقع خطواتهم التي بعدت كثيرًا وأختفت، فأطمئن قلبي قليلًا وبدأت أتنفس الصعداء فلقد تركوني حيًا على الأقل حتى تلك اللحظة ويجب أن اسعد بأي لحظة يكون فيها مصيري مختلف عن مصير من يرقد أمامي حتى لو كان مصيري هذا لن يطول لايام أو لساعات أو للحظات، وجاء الوقت لكي أستغل هذا الضوء وأتفحص وليمة هذا المساء العجيبة وإلى ماذا ألت في النهاية، وبالفعل إلتفت نحوه لأجد جسدًا لرجل تم شق صدره من أسفل رقبته حتى أول بطنه، يظهر

من هذا الشق قلبه برغم بشاعة المنظر فمازال ينبض ويضخ دمًا ولا كأنه كان تحت الافتراس من لحظات قليلة، استباح الفضول عقلي فرفعت نظري نحو وجهه، فبرغم تخوفي إلا ان ما رأيته أجبر عيني على الإتساع وأجبر ايضًا فمي على الإنفراج من الدهشة، فلقد علمت أخيرًا الحقيقة الخامسة وياليتني ما علمتها، فالحقيقة هي أن من يشاركني تلك الغرفة والفراش وكان وليمة لكائنات شبه بشرية منذ لحظات هو صديق عمري ورفيقي طيلة حياتي، صديقي الذي أكن له كل المحبة والأخوة لا أتخيل حياتي من غيره، لا أنكر أني لم أمنع دموعي من محبسها وخرجت تجري على وجنتي حزنًا، لم يكن حظ صرختي مثل دموعي فلقد اجبرتها على الكتمان خوفًا من تلك الكائنات أن تنتبه لوجودي وتعود من أجل إلتهامي، ولكن رغم محاولاتي لمنعها تسرب من بين شفاهي أنات مرتعشة، حتى تفوهت صارخًا في سري قائلًا:

وكيف لا يكون هذا حالي وأنا أراك يا صديق عمري بتلك الصورة البشعة، لم أكن اتخيل أن تكون تلك نهايتك يا صديقي، برغم انك طيلة حياتك كنت تقول على نفسك أنك سوف تعيش وحيدًا وتموت وحيدًا، وها أنا أمامك لكي اقولها لك كما كنت في حياتك بجانبك دايمًا، أصبحت شريكك في أبشع نهاية كنت تتخيلها ولم تكن وحيدًا، فانت يا صديقي توهمت انك وحيد وصدقت هذا الوهم حتى أصبحت حقيقة بالنسبة لك، برغم أني كنت بجانبك في

أصعب المواقف التي مرت عليك، إن لم تتذكر سوف اذكرك.
هل تتذكر عندما كان عمرك ستة سنوات ورغم محاولاتهم أن يخفوا عليك الحقيقة إلا أنك علمت بخبر وفاة والدك، بكيت حينها وأحتضنك الجميع لكن ما لا يعلموه أنك عندما دخلت غرفتك حتى نزلت أسفل الفراش مختبئًا من الجميع وبكيت بشدة وضربت الأرض غضبًا وأعتراضًا وقلت صارخًا "لماذا تركتني يا أبي وحيدًا" جئت انا حينها وسحفت مثلك أسفل الفراش واحتضنتك حتى نمت في حضني.
عندما تنمروا عليك زملائك بالمدرسة بسبب لدغتك في حرف الراء وكنت تداري هذا بأنك كنت تبتسم أمامهم وكأنه قد طاب لك مزاحهم، ولكن عندما ينتهوا منك ويتركوك كنت تختبئ خلف غرفة الحارس وتبكي وتلعن وحدتك، كنت حينها تجدني جالسًا بجانبك أغني لك حتى تهدأ.
حتى عندما غدرت بك حبك الأول وأوشكت على الانتحار وأنت تلعن الوحدة بكل قوة كنت أنا معك.
عندما ضغطوا عليك بالعمل حتى أجبروك على الاستقالة كنت بجوارك حتى أستطعت أن تمر بتلك الأزمة.
عندما علمت على عدم قدرتك على الانجاب وقررت أن تنفصل عن زوجتك كنت أنا من يتحدث لك ويحاول أن يمنعك عن هذا.

عندما أنعزلت عن من حولك كنت أنا من يزورك، كل هذا وأنت ما أن تجدني أمامك حتى تقول كم أنا وحيد وتلعن الوحدة، كنت بجوارك في كل هذا وأن تجرحني بكل برود بتلك الكلمة كيف لك أن تفعل هذا بي؟ كيف لك أن تمحي وجودي بجانبك بكل تلك السهولة؟ كم كنت أناني ونرجسي بشكل مفرط لم ترى بالكون سواك، أما عن صديق عمرك وشريك حياتك فهو ليس له وجود وتعلن بكل فخر بغيض وحزن وهمي أنك تعبت من الوحدة.
غصب عني نظرت له وابتسمت ساخرًا في حنق وأكملت: حتى في نهاية حياتك تنام أنت وأكون أنا بجانبك أيضًا، أرى ألمك وعذابك كالعادة لأنني مقيد معك بهذا الفراش اللعين في تلك الغرفة السوداء، لا أعرف هل أضحك من سخرية القدر أم أبغض حظي العسر.
أثناء ذلك فاجئني وجود شخص خلفي يرتدي معطف أسود كبير بغطاء رأس يختبئ وجهه اسفله يمد يده ويحاول فك قيود يدي في تركيز وصمت، نجح فيما يفعله ولكنه فك الحبل من الفراش فقط ثم مر بجانبي وهو ممسك الحبل ويدي مازالت مقيدة به وسحبني نحو جسد صديقي، سحبني مرتين بقوة حتى أصبحت رأسي بجانب رأس صديقي وأدار الحبل حول عنق صديقي، وبقوة ظل يشده خانقًا إياه وأنا أراقب عروق وجهه صديقي وهي تبرز محاولة الإفلات من تلك القبضة، أراقب هذا بكل خوف وضعف

وكيف لي أن أمنعه وأنا أحمل أطراف دابلة، وهنا علمت الحقيقة السادسة أنني أصبحت قاتل صديق عمري.
ما أن تصلب صديقي عن الحركة حتى تقدم هذا الشخص وفك قيود أقدامي ويدي ثم إنحنى وحملني وبدأ يسير مغادرًا الغرفة وأنا أنظر لصديق عمري النظرة الأخيرة فلن أراه مرة أخرى وسوف أشعر بما كن يشعر به وهي الوحدة ولكن حينها لم أجد من يكون بجانبي للأسف مثلما كنت انا له، ما أن خرجنا للخارج حتى رأيت ممر طويل مضيء ما أن وصلنا لنهايته حتى فتح باب المصعد لتظهر بداخله مِرآة طويلة تعكس صورة الشخص الغريب الذي يحملني ويتضح فيها ايضًا صورتي والتي كانت غريبة بعض الشيء فلقد كان وجهي يشبه وجه صديقي بشكلًا كبير، دخل المصعد وهو يحملني وأقتربت من المِرآة وتأكدت من ظني، إستدار بي لأرى لافتة معلقة بأعلى الممر كتب عليها "وحدة الحجر الصحي لمرضى الكورونا" وضغط على زر الصعود وباب المصعد بدأ ينغلق علمت الحقيقة السابعة وهي أنني كنت مجرد رَوّح".

****

تمت بحمدالله